سآتيك بالسيف والأحلام

تغريم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع
مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ - ص.ب: ٧٤٦٠ - برقيا: بيوشران

سآتيك بالسيف والأقحوان

تنغيم

حسن الأمراني

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيـــــم

ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما

سورة الأحزاب:35

وقال لي: لاتيأ س مني ,فلو جئت بالحرف كله سيئة كان عفوي أعظم .
وقال لي: لاتجترىء علي ' فلو جئت بالحرف كله حسنات كانت حجتي ألزم.

النفري في مواقفـــه.

اذا نزل الـــروح الأمين على قلبـــي
تضعضع تركيبي وحـــنّ الى الغيب

فأودعني منه عـــلـــوماً تقـــــدست
عن الحدس والتخميـن والظنّ والريب

ابن عربي

ولأنت أحســـن إذبرزت لنـــا ... يوم الخروج بســاحة القصـــر
من دُرّة أغلى الملوك بهـــــا ... ممـــا تربب حـــائر البحـــــر
بيضـــاء لو مرت بذي نسُـــك ... يتلو البيـــانَ يلوح في الـــــزّبر
متبتلٍ عن كل فاحشـــــــةً ... سكـــن الصوامع رهبة الـــوزر
لرأيته حزّانَ يذكـــــــرها ... يختـــار رؤيتهـــا على الـــــذكر

حسان بن ثابت
رضي الله عنه

اعذريني يا خمرة الأرواح

عان أعلنـــــت عليـــك حبي

وانكشـــف أمـــري في القبيـــلة .

ن . ب

يا خمـرة روح تَهْدِيـنـــــــــي

لمعـــــارج أمن ويقيـــــــن

أنوارك غيـــثٌ منهمـــــــرَ

تتألّقُ فيـــه بساتيـــــــني

فخذي بيدي نحـو الـــــــرؤيا

ودعي قطراتك ترويـــــــني

شوكُ الظلمـاتِ يُحاصـــــرني

فَتغيـرُ عليه ريـــــاحينـــي

أنا منْ كلمـاتكِ مـــــورقـــةً

أتـــعلّـــمُ سِـــرَّ التكـــــوين

ح.أ.

تـــقديـــــــــــــــم

د.محمد علي الرباوي

استمتعت بهذه المجموعة الشعرية مرتين:

ـــ مرة حين قرأ علي الشاعر حسن الأمراني بعض قصائدها ، تارة في بيته العامر ،وتارة عبر الهاتف!

ـــ ومرة حين قرأتها قراءة فاحصة لأضع لها هذه المقدمة.

هذه القراءة الأخيرة أكدت لي أن هذه المجموعة ليست سوى قصيدة واحدة ، أعتبرها أنضج ما كتبه هذا الشاعر الكبير؛ لأنه استطاع من خلالها أن يقدم المعنى الشريف في ثوب أخاذ؛ أي:استطاع أن يخلق انسجاما بين المعنى والمبنى خلافا لكثير من قصائده التي أنجزها في العقد السبعيني خاصة،حيث تبدأ القصيدة في تلك المرحلة بداية تتأجج شعرا رائعا، لكن سرعان ما يتسرب اليها"ايقاع " النثر،خاصة حين يسيطر على الشاعر الهاجس السياسي والاجتماعي؛أذكر على سبيل المثال قصيدته(أحلام حفيد صاحب الرأس)في مجموعته(القصائد السبع)،وقصيدته (صلوات المستضعفين) في مجموعته (الزمان الجديد).

تثير هذه المجموعة الشعرية عدة قضايا،ان على مستوى الموضوع وان على مستوى الشكل. وفحص كل مكوناتها الجمالية يتطلب جهدا كبيرا، ومساحة واسعة لا تتسع لها هذه المقدمة التي أريد أن تكون مدخلا يعبر القارىء من خلاله الى هذا العالم الشعري الجميل الذي نسجته يراعة هذا الشاعر المتميز بلغته، بفنياته؛ لهذا سأقتصر على مس ثلاثة عناصر مسا خفيفا، وهي:

ـــ *العنوان.*

ـــ *موضوع المجموعة.*

ـــ *اللغة المعبر بها.*

(1)

أول ما يلفت نظر القارئ في هذه المجموعة عنوانها المثير التالي:

(سآتيك بالسيف والأقحوان)

ذلك بأن مضمونه موزع على أكثر من قصـيدة:

* ***مملكة السيف والأقحوان(1)***

* ***يلوح لي دمهم من بعيد***

فتنهض في أضلعي وردة

وسيف صقيـــل(1)

* ***حين يشتبك السيف بالأقحوان(2)***

* ***فكيف يدمر مملكة الشعر***

من أجل مملكة الأقحوان

وكيف يجرد في آخر العمر سيفا كليلا(3)

* ***ويتـــحد بالسيـــف بالأقحـــــــــــــــــوان(3)***

* ***(...) الخ***

اتفقت هذه النماذج من حيث محتواها مع بنية العنوان. فقد جمع الشاعر في بنيـة العطف بين السيف ،رمز القوة، والأقحوان رمز الاشراق. أليس في هذا الجمع شيء من الغرابة؟ فما دلالـة هذا الجمع؟

ان الاعتماد على مـا بهذه المجموعـة من نصـوص لا ينير طريقنـا نحـو الدلالـة.لكن اذا أدمجنا هذه المجموعة في كل الانجازات الشعرية للأمراني اكتشفنا عمق هذا العنوان.

لنقرأ النماذج التالية:

أ * ***تلك الشيخ يحمل أعوامه بعد سبعين ولت***

على ظهره صاعدا في الجبال

حاملا بندقيته (والحديد

فيه بأس شديد)

وعلى شفتيه وفي قلبه كلمات الاله العظيم

ليتني كنته

ليتني كنت من جنده

أحمل المصحف السيف أدخل دائرة الاشتعال(4)

*ب * ها انني أحمل سيف البرق في كف*

وفي كف نشيد الوصل والصبابه(5)

*ج * ومضى يصنع في الأرض مصيره*

يركب الليل وحلم الثورة الصعب

وبعض من رغيف

كان بعض الزاد،لكن أفضل الزاد ذخيره

من رصاص وكتاب (6)

*د * فأنا لست أملك الا صلاتي*

وسيفي وهذا الكفـــــن (7)

*هـ * وأغتال ظني*

بسيف يقينـــــي (8)

الحق أن النموذج الأول هو المفتاح الأساس الذي يساعدنا على فك المغلق. لقد جعل الشاعر السيف بدلا من المصحف،أي : صارا بهذه البدلية كأنهما شيء واحد. وبهذا فقد جذب السيف اليه، في هذا السياق، قدسية المصحف؛ انه رمز الجهاد،أي: رمز للفريضة الأساسية في العقيدة الاسلامية؛ اذ بواسطتها تحققت الدولة الاسلامية. ولعل هذا ما جعل جماعة الشهيد حسن البنا تتخذ السيف والمصحف شعارا لدعوتها. هذا الشعار تسرب الى أشعار حسن الأمراني، كما تسرب الى عنوان هذه المجموعة؛ وذلك على الشكل التالي:

شعار الـــجمـــــاعـــة

السيف	المصحف
أ * السيف	> المصحف
ب * سيف البرق	> نشيد الوصل والصبابة
ج * رصاص	> كتاب (قرآن)
د * سيف	> صلاة
هـ * سيف	> يقين
و * السيف	> الأقحوان

اننا أمام بنية تتكون من عنصرين اثنين: يتسم العنصر الأول(السيف) بالثبات في بنيته. فهو دائما معرف اما بـ(أل) واما بالاضافة،ولم يعرف سوى تحول واحد سجله النموذج (ج) حيث صار السيف رصاصا. لكن جوهر هذا العنصر لم يتغير؛لأن"الرصاص" يؤدي ما يؤديه "السيف".

أما العنصر الثاني(المصحف) فقد عرف عدة تحولات، فهو المصحف في (أ)، ونشيد الوصل في (ب) ،والكتاب/القرآن في (ج)،والصلاة في (د)،واليقين في (هـ)،وكلها تحولات لم تمس ، مع ذلك، جوهر ما توحي به الكلمة الأم.

أما عنوان المجموعة فخاضع لنفس البنية،عنصرها الأول (السيف) وعنصرها الثاني هو احدى التحولات الممكنة للمصحف، ولهذا نقول :

الأقحوان - المصحف - نشيد الوصل - الكتاب - الصلاة - اليقين.

وبهذا نقول ان الشاعر حسن الأمراني يقدم لقارئه بطاقة هويته الفكرية انطلاقا من العنوان.

اضافة الى ما تقدم نستطيع ان نقول ان صورة (عرس الدم) ، وهي احدى مسرحيات لوركا، قد تسربت هي أيضا الى عنوان هذا الديوان،لكن مع شيء من التحوير،فالمسرحية تتحدث عن عرس انتهى بالدم، حيث ان البطلة قد زفت الى عريسها، وفي ليلة الزفاف فرت مع عاشق لها؛ فانتهى الفرح بالقتل،أي:انتهى بالدم.لكن الشاعر حسن الأمراني جعل من هذا الدم ــ كعادته في باقي تجاربه الشعرية ــ رمزا للشهادة، رمزا لرغبة العاشق في أن يتحد بالمعشوق؛أي:بالذات

العليا ؛ ولهذا فشعار (الاخوان) عامة،وفي هذه المجموعة خاصة،يرمي الى هذا الاتحاد. ومن تجليات هذا العرس في هذا الديوان ما يلي:

أ * تنهض في أضلعي وردة

وسيف صقيـــل(9)

ب * يخبـــــئ صوتـــــك لـــــي وردة مـــــن دم(10)

ج *واجطـــــي تيجـــــانك الحـــــب بـــــأعراس الجهـــــاد (11)

ان بنية عرس الدم هي تقريبا بنية عنوان هذا الديوان :

الدم	العرس
* السيف	الأقحوان
أ ـ سيف	وردة
ب ـ دم	وردة
ج ـ الجهاد	أعراس

ان المسلم يعتبر الجهاد عرسا؛ اذ عبره يتحقق حلمه السعيد الذي يتجلى في الشهادة التي تفتح له أبواب الجنة.والسيف طريق الى تحقيق هذا الحلم؛ ولهذا قدس الدم في الكتابات الصوفية.

(2)

انطلاقا مما سبق نقول ان هذا الديوان يسيطر عليه بنية الاحتراق المستمدة من أسطورة العنقاء التي تسربت بشكل مكثف الى الشعر العربي المعاصر. لكن لماذا يتكئ شاعر يدعو الى أدب اسلامي على الأساطير الوثنية؟ ألا يتعارض هذا مع التصور الاسلامي؟ الحق أن ثمة تعارضا اذا نظرنا الى المسألة نظرة سطحية، ولكننا حين ننظر اليها داخل تجربة الأمراني نكتشف أنه أعطاها حمولة ايمانية اسلامية ،مما يدل على أن الشاعر الاسلامي يحق له أن

يوظف ما يشاء من الرموز كيفما كان مصدرها.المهم أن تكون الرؤيا الاسلامية حاضرة عند التوظيف أو الاستعارة.

ان هذه الأسطورة حاضرة في كل قصائد هذا الديوان،وقد تكررت صورها في أكثر من مقطع من مقاطع القصيدة الواحدة،كـ (الدخول الى حدائق اقبال السندسية) و (من حراء) و(في البدء) ،ثم انها قبل كل شيء قد تجلت في عناوين بعض القصائد مثل:(في البدء) و(احتفال) و(الحريق) و(من حراء) و(نار سرنديب).

ومن هذه الأسطورة تولدت في الديوان ثنائيات على غرار شعار (السيف /المصحف) ، وعلى غرار(عرس /الدم) ،من ذلك مايلي :

العنقـــــاء

٨

المـــوت	**الانبعاث**
الصخـــــور	**الفنـــــار**
التـــــراب	**الياسميـــن**
غبـــــار	**مملكـــــة**
البيـــــد	**القطـا (علامة على وجود الماء)**
الأرض	**الأنـــــام**
المغـــارات	**القناديـــل**
صـــــدأ	**القلب (النبض - الحياة)**
البيـــــد	**خرقة استحالت كوكبا**
صحـــراء	**ينبـــوع**
صحـــراء	**المـــــاء**
الـــــخ ..	**الـــــخ ..**

ان هذا التقابل بين الموت والحياة حاضر في الكلمات النثرية التي تصدرت بعض النصوص الشعرية ، كنص محمد اقبال الذي تصدر قصيدة(الدخول الى حدائق اقبال السندسية)،حيث التقابل بين الخصب والجدب،وحلول الربيع بعد انتظار شاق .

لكن المفتاح الحقيقي لهذا الديوان ، الآية القرآنية من سورة الأحزاب التي تصدرته . فهي آية تحيلنا على آيتين سابقتين هما آيتا التخيير 28 ـــ 29 ، اذ تسربتا الى كل قصائد الديوان تسربا بديعا . وقد استعان الشاعر أيضا بآيات من سورة الضحى حتى استهل بها قصيدته :(من حراء). هذه السورة نزلت بعد أن غاب الوحي عن النبي محمد ،صلى الله عليه وسلم، وهذا الغياب ترك حزنا عميقا في قلبه ، عليه السلام؛ اذ خاف أن يكون ذلك من غضب الله تعالى عليه. ولكن الآيات نزلت لتبشره بأن مولاه ما تخلى عنه . ويريد الأمراني أن يوهمنا بأن "الوحي" قد تخلى عنه . ونحن نعلم ــ ويعلم القراء كذلك ــ أن هذا ليس أمرا صحيحا ؛ لأن الكتابة الشعرية ظلت حاضرة بكثافة من خلال مانشر من مجموعات شعرية، ومن خلال القصائد التي ينشرها بين الفينة والأخرى في المنابر المغربية والعربية. وهذا يدفعنا الى أن نقول ان الوحي الذي يتحدث عنه هو وحي من نوع خاص، ستتضح ملامحه عندما نعرج على آيتي الأحزاب التاليتين :

(يا أيها النبيء قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجـــرا عظيمـــا).

نحن أمام آيتين شخصياتها تتألف من النبي محمد، صلى الله عليه وسلم ،وأزواجه. فقد جاء في كتب التفسير أنه بعد أن نصر الله نبيه ،عليه السلام، ورد الأحزاب ، وفتح عليه قريظة والنضير، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس وذخائر ، فجئن اليه وقلن له: يا رسول الله ، ان بنات كسرى وقيصر في الحلى والحلل والاماء والخول ،ونحن على ما ترى من الفاقة والضيق. هذا الكلام آلم قلب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لا ينبغي أن يصدر عن أمهات المومنين؛ لهذا نزلت الآيتان السابقتان، والغاية منهما أن يحدد النبي لزوجاته الطريق ؛ فاما

الحياة الدنيا واما الله ورسوله والآخرة ؛ فلما أخبرهن ، وقد بدأ بعائشة رضي الله عنها ؛ وكان يحبها حبا خاصا ، كان أن اخترن الله ورسوله . وهذا الاختيار أثلج صدر النبي ، صلى الله عليه وسلم؛ لأنه جاء اختيارا تلقائيا، حيث منع أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أن يضربا على التوالي عائشة وحفصة؛ لأن المسألة عنده يجب أن تتم بالرضا(12).

نحن اذن أمام نبي اختار ما عند الله تعالى. فعلى من تريد من نسائه أن تصاحبه في رحلته الشاقة أن يكون لها نفس الاختيار ؛ لأن الرسالة المنوطة به عليه السلام تتطلب صاحبة تقدر عمقها .

تقدم لنا أسباب نزول الآيتين المسوغ الذي جعل الشاعر الأمراني يستعير أسطورة العنقاء،وهذا يوضحه الشكل التالي :

الموت	٨	الانبعاث
عائشة(المرأة) تطلب الدنيا		عائشة(المرأة) تختار الله ورسوله والآخرة
/		/
غضب النبي		فرح النبي

في عصرنا الحاضر نجد المرأة المسلمة عرضة لأضواء المدينة، عرضة للرياح القادمة من الغرب، فلهذا تستسلم لزخارف الدنيا؛ فتتبرج تبرج الجاهلية، وهذا شيء آلم الشاعر الذي اختار الله. فأين هي المرأة القادرة على أن تختار نفس الاختيار؟ لكن من خلال الديوان يتضح أن الشاعر،بعد يأس طويل، عادت اليه الروح، اذ ان المرأة المؤمنة ممكن حضورها في أرض الواقع.بل ان لها حضورا متميزا بحجابها، ووقارها في الشارع، وفي المدرجات، وفي المنتديات الأدبية.ان الاحساس بهذا الحضور نفخ الروح في جسد الشاعر فعادت اليه الحياة ، وعاد اليه الوحي من جديد ليتغنى بهذه المرأة المسلمة المؤمنة، فاختار لها من الأسماء عائشة ،تيمنا بزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أ ــ (1) * بعت أضواء المدينه

واشتريت النورغضا

يجتلي رائحة الوحي

وأنداء السكينـــــــه

وبجوف الليل قمت

فتلقيت ،وقد أدلج منك القلب نحو الله،

(يانعم العطاء)

سفرك الأول من غار حـــــراء(13)

(2)* لم تكن تلـك الغـزالـه

تقرع الناقوس في الدير

ولا عاشقها يعقد زنـــارا

ويحسو خمـــره حتى الثمالـــه (...)

والغزالـــه

تقطع الليل ابتهالا

وتمـد الصوت نحو اللـــــــــه (14)

(3)* وتنهض عائشة المستحمـة في نهر من ضيـاء(..)

تتـــوضـأ بالنور (..)

عائشة تلبس تـــاج التقوى الأزلي (15)

ب ـ (4)* تأججت النار في شرفات الوطن

فسدي النوافذ، سدي النوافذ

ان الرياح تجيء من الغرب مثقلة بالرصاص

وطعم الوهـــن

ومدي الرداء

نفكك مع الفجر أزرار حلم يخبئه القلب

مدي الرداء ولا تعبئي بزئير العواصف

نبايع على أن نقاتل حتى انفراد السوالف

تأججت النار ، مدي يديك

فلا صبر لي كي أسافر وحدي

وأرتاد حر الهواجـر وحـدي

وهذي الرياح تجيء من الغرب مؤذنة بالخـراب

ومحـو المـآذن والعندلات

وهل يطفئ الدمع طعم اللهيب

وهل يغسل الدم هذا الدرن ؟ (16)

(5)* رخـوة كل تلك المسالك لاظل فيها

والدليل يتيه بأغوارهن ولا عجب أن يتيهـا

فديتك لا تطئيهـا

فلا ظـل فيهـا

وبقعر الخوابي رياح السموم

لهن شهيـق

يرج الأضالع ، يشوي الوجوهـا

وتلك المصابيح كاذبة فالغنيهـا

سيوغر صدرك ضدي المرابون والمرجفون

سينتشرون

سيعلون راية تنينهـم فاحذريها

فديتك تلك المسالك محفوفة

بالنعيم المذاب

ومسكونة بطويل العذاب

فلا تقربيهـا

وصوني كنوزك بالدمع في الظلمات

وبالسجـدة الموقـــه

يرف الثار

فتحرسه الجبهـة المـــــــومنه (17)

اننا أمام مجموعتين:(أ) و(ب) ، تضم (أ) النماذج التالية:1-2-3- وتضم (ب) النموذجين التاليين 4-5، ومن خلال المجموعتين يتضح تسرب آيتي التخييرمن سورة الأحزاب التي مرت بنا وذلك على الشكل التالي :

آيـــــة 28	آيـــــة 29
^	
المرأة تختار الدنيا	المرأة تختار الله ورسوله والآخرة
/	/
حزن النبي	فرح النبي
(ب): 4 – 5	(أ) : 1– 2– 3

يوجه الشاعر في المجموعة (ب) الخطاب الى المرأة/النموذج – الحلم. يدعوها الى أن تسد النوافذ حتى لا تتسرب عبرها الرياح القادمة من الغرب ، لأنها رياح تنشر في المرأة حب الدنيا. والغريب أن الشاعر استعمل في هذا المقام لفظة الرياح بهذه الصيغة، وهي في القرآن الكريم لواقح.وهكذا نجدها في أشعار الأمراني. لكن ألم يكن الأولى أن يقول:(ان الريح تجيء من الغرب) بدل (ان الرياح تجيء من الغرب)؟ لأن ما يأتي من هناك لايكون الا مدمرا. الحق أن الشاعر آثر استعمال"الرياح" في هذا المجال؛لأن ظاهرها ،عند ضعاف الايمان ، يوحي بأنها لواقح نظرا لما تقدمه من اغراءات تمنع المرء من أن يلتفت الى ما تحمله في طياتها من دمار. فلهذا نجد الشاعر يدعو المرأة الى أن تنتبه الى خطورة هذه الرياح؛ انها تأتي لمحو المآذن ، لمحو الاسلام، ثم يحذرها من المسالك التي لا ظل فيها؛ لأنها مسالك تؤدي الى الشيطان. وينبهها الى أن ما بها من أضواء انما هي شباك لاصطياد الانسان والزج به في حمأة الرذيلة. لهذا فهذه المرأة ان لم تخضع لدعوة الشاعر سقطت في الهاوية، وهذا سيكون له أثر عميق في

قلب الشاعر، لكن البشرى جاءته من خلال المجموعة (أ) حيث أعلنت المرأة عن اختيارها الله ورسوله واليوم الآخر. ومن علامات هذا الاختيار أنها باعت أضواء المدينة، باعت الدنيا واشترت النور، والليل تقطعه صلاة وابتهالا الى الله ،فاتخذت من الحجاب ستارا تحجب به فتنتها عن الرجل، وهذا أعاد الأمل الى قلب الشاعر فانفجر الوحي بعد فترة جفاف ، وتسربت أسطورة العنقاء الى نصوص هذا الديوان ،وهذا جعل الشاعر يستعير قناعا مقدسا؛ انه قناع النبي محمد ،صلى الله عليه وسلم؛ فجاءت قصيدة "من حراء" علامة على الحياة التي صارت تدب في القلب؛ اذ تلقى وحيا جديدا،وهو ليس كالوحي الذي فجر فيه أشعاره السابقة، انه وحي فجرته المرأة المومنةالتي اختارت الله ورسوله ، لهذا شبه الشاعرحاله بحال النبي محمد ،صلى الله عليه وسلم ، حين اختارت زوجاته نفس الطريق. وليعبر الشاعر عن طهر الوحي الذي تلبسه استدعى تلك الفترة التي عاشها الرسول الكريم في حراء ، حين نزل عليه الوحي وعاد الى خديجة يدعوها الى أن تدثره. يقول الشاعر:

**** دثـــريني***

دثـــريني

انني المقرور في عز الظهيره (18)

**** ومـــن يا ترى سيدثرني***

ان أنا عدت للبيت مرتعشا

بعد ليل طويل طويل (19)

اذن ، من كل ما تقدم نقول ان موضوع هذا الديوان هو "مـــدح" المرأة المومنة التي استطاعت أن تقف ثابتة على العهد ،ولم تبال برياح الغرب المغرية.

(3)

استعار الشاعر لهذا الموضوع لغة المتصوفة،ولهذا اللغة،كما يعلم المهتمون بهذا المجال ، مظهران :مظهر مادي استعارللتعبير عنه المعجم الجنسي ، ومظهر روحي استعار للتعبير عنه

لغة الابتهالات . ولكلا المظهرين حضور في تجربة الأمراني، الا أن المظهر الأول نجده بكثافة في ما أنجزه في سنوات السبعين.وهذا يوضحه ما يلي :

**** في حمأة الشهوة غاصت قدمي***

خارطة محاطة

بالرعب والجنون . كانت بضة فارهة

تشدني

لوجهها المحنط المعجون بالتزويق والسذاجة /

ارتميت في أحضانها/ اعتصرت من مقلها البريق

(ما هم اذا يكون خلبا) ومن

مملكة النهد جمعت ثرواتي قبل أن أبحر في الأعماق (20)

**** ضميني لك ضميني***

ودعيني كالسكين

بين النهدين، أنا العاشق لا أطلب أجرا

في العشق سوى أن أقتل فيك (21)

**** أنت ما بين خطين تحترفين التمرد***

خط الخروج وخط الوصول

وأنا بين نهديك عقد من الضوء لا ينكسر

ما أشد حنيني اليك وأنت بقربي (22)

تتسم هذه المقاطع بغزل مادي صريح،اعتمادا على كلمات مثل : الشهوة – النهد ... ومع ذلك فان القصائد التي منها هذه النماذج ، يغلب عليها النفس الصوفي. ولعل في هذا أثرا من

آثار نشيد الانشاد الذي تسرب الى شعرنا العربي المعاصر بواسطة كتابات الأدباء العرب النصارى أمثال جبران،ويوسف الخال، وأضرابهما.

لكن هذا المظهر المادي سيختفي تاركا المجال للمظهر الأول الذي تجلى بوضوح في ديوان (مملكة الرماد)، وبلغ أوجه في هذا الديوان الذي حضرت فيه المرأة حضورا محفوفا بلغة تتأجج عفة.

***

وبعد، فاني لا أزعم أنني قدمت للقارئ الكريم كل ما تزخر به هذه المجموعة. ولكن اقتصرت على العناصر الثلاثة المشار اليها في مطلع هذه المقدمة لأهميتها في هذا الديوان. أما المكونات الفنية الأخرى فان التعرض لها يتطلب ناقدا متمرسا . فأنا لست سوى شاعر يقرأ شاعرا تجمعني به صداقة أخوية متينة. فهل أصبت في هذه القراءة ؟

وجدة في 28 رمضان 1415 .

الهوامش:

(1) من قصيدة: في البدء

(2) من قصيدة: الدخول الى حدائق اقبال السندسية.

(3) من قصيدة: نار سرنديب .

(4) صلوات المستضعفين.(ديوان: الزمان الجديد)

(5)مزامير.(ديوان القصائد السبع)

(6)صلوات المستضعفين.

(7) موجة من رياح الجنوب.(ديوان:مملكة الرماد).

(8) مكابدات ابن عمر

(9) في البدء.

(10) الدخول الى حدائق اقبال..

(11) حكاية الشيخ صنعان..

(12) انظر في ظلال القرآن وتفسير المراغي ومختصر ابن كثير.

(13) من حراء.

(14)حكاية الشيخ صنعان..

(15) نار سرنديب.

(16) احتفال.

(17) الدخول...

(18) الدخول...

(19) في البدء.

(20) مزامير.

(21)العلم الثقافي :1978/11/24.

(22) العلم الثقافي: 5/8/ 1977.

الـــــــى الأبـــــــد

يعاتبني فيكِ من ليـــــس يـــــدري
ويجهـــلُ فيكِ حقيـــــقة أمـــري

ويحســـب أنّكِ بنـــتُ التـــــراب
وأنـــك بعـــدي رهيـــــنةُ قـــبر

عَـــنِيريَ من عـــــاذلٍ جـــــاهلٍ
بأنّي لـــولاكِ مـــافاض بحـــــري

وأنـــت الحقيـــقةُ, أنـــت الطليقـــةُ
أنـــت الغديـــقةُ في حـــقل عمـــــري

ولولاكِ لـــم أكتـــــب الشعـــر يومـــا
ولـــم أتبـــتّلْ بليـــــلة قـــــدري

يُســـائِلني عنـــكِ هَـــذا الْـــوُجـــودُ
ويَقـــذِفُ بالجَمـــرِ أسْـــوَارَ صَبـــرِي

وَلكنّـــني سَـوْف أَطْـــوِي الجنـــاحَ
ومَـــا كُنْتُ يوْمـــاً لِأَهْتِـــكَ سِتـــرِي

فـــــي البـــــدء

- 1 -

في البـــــدءِ حنَّـــتْ إلى شفتـــــيَّ الفصـــولْ

- 2 -

وفي أوّل الخطـــــــو

أوقدتُ فوق الصخـــــور فنـــاري

وأعـــــددتُ للفقـــرِ تجْفَـــافاً

إستقبَـــلتني الريـــــــاحُ

بمـــا أنـــا أهـــلٌ لـــــه

وانتظرتُ, انتظرتكِ حتى تضايقَ منّي انتظـــــاري

- 3 -

وفي أوّل الخطـــو

والدربُ في أدمعـــي مبهـــمْ

رأيتهمْ يعْـــبُرونَ دمـــي

يُـلَوِّحُ لِـي دَمْهُـمٌ منْ بعـــيدِ

فتنهـضُ في أضلعـــي وردةً

... وسيـــفٌ صقيـــلْ

رأيتهُمُ في تبوكَ

وفـــي كربلاءَ

ونـــخلِ سجلماسّةَ الغـــضِّ

نادَوكَ: هـــذا أوانُ الـــرحيـــلْ

ومـــن يا تُرى سيُـــثَنّزني

إنْ أنـــا عدتُ للبيـــت مرتعشـاً

بعد ليلٍ طـــويـــلٍ طـــويـــلْ ؟

ومـــن سيكونُ رفيقـــي وأمنـــي

وواحـــةَ عُمْـــري اذا ما خرجتُ ؟

ومن سيخبـّـــىءُ في صدره

سِـــــرّ حلمـــــي الجميـــل ؟

ويبكـــي على شُرْفَـــةِ الذكـــرياتِ

إذا أنا كنـــتُ القتيـــلْ ؟

- 4 -

ولمّـــا تَضَايَقَ منّي انتظـــاري

نقشتكِ في عالـــم الظَّـــنّ أيقـــونةً

لـــم تلامسْ تَضَـــارِيسَهَـــا ريشـــةٌ

ثم قلـــتُ : خذيني بأجنحة الحُلْم نحوتخـــوم نهـــاري

نَشَـــرْتُ القِلاع

وقلت :الأحبّـةُ قـد لَـوَّحُوا

والدمـــاءُ الـــدليـــلْ

تغربتُ عشـــرين عـــامًا بمملكـــة الشِّعْـرِ

أطلبُ مملكـــةَ السَّيْـفِ والأقْحُـــوان

وأوغـــلتُ حتّى نعتنـــي الطلـــولْ

وفي آخـــر الخطو ,قبـــل انهياري

وجـــدتُ انتصـــاري

لأني وَجَـدْتُكِ في ذلك الأرْخَبيـــلْ

احتفال

تأجَّجَـــتِ النـــارُ في شرفات الوَطَـــنْ

فسُـدِّي النوافذَ, سُـــدِّي النوافذَ,

إنَّ الـــرياحَ تجـــيءُ من الغـــرْبِ مثقلـــةً بالرَّصَاصِ

وطَعْمِ الوَمَـــنْ

ومُـــدِّي الـــرِّدَاءَ

نُفَكِّـــكُ - مع الفجرِ - أزرارَ حُلْمٍ يُخَبِّئُهُ القَـــلْبُ

مُـــدِّي الرداء, ولا تعبئي بـــزئير العـــواصـــفْ

نُبَايِعُ عـــلى أن نُقَـــاتِلَ حتّى انفرادِ الســـوالـــفْ

تَأَجَّجَـتِ النَّـــارُ... مُـــدِّي يَدَيْكِ

فلا صَبْرَ لي كَيْ أسَافِرَ وَحْدِي

وأرتادَ حَرَّ الهواجرِ وحدي

وَلَا أَيْدَ لي كَيْ أُقَاتِلَ جالوتَ وَحْدِي

وهذي الرياحُ تجيءُ من الغَرْب مؤذنةً بالخَرَابِ

وَمَحْوِ المَآذِنِ والعَنْدَلَاتِ

وهل يُطفِىءُ الدمعُ طَعْمَ اللَّهيب ؟

وهل يغسلُ الدَّمَّ هَذَا الدَّرَنْ؟

وحين رأيتكِ تغتسلين بنهر الحروف

تَجَلَّيتِ رؤيا

تُـــؤَسِّسُ عـــرشَ المســـاكـــــينِ

تهـــــزأ بالنـــطع والـمـــقـصـلـــــه

أتستكثريـــــن إذا هيأ الأيـــكُ أســـراره

لترتاحَ عصفـــــورةً مـــن لغـــوبِ المســـاء؟

أتستكثريـــنَ احتفـــالَ القصـــائدِ بالسنبـــــــله ؟

الدخول الى حدائق اقبال السنديسية

(ها ان الأزهاروالورود في الغابة في انتظار ان تسقى بهذا الدم القاني ,فترفل في حلته ,وقد قدمنا لنزرع نفوسنا, ونريق دماءنا في هذه الأرض النائية, لتخصب الانسانية بعد جدب طويل, ويحل الربيع بعد انتظار شاق ,طال أمـــده.)

دعاء طارق:محمد اقبال

- 1 -

... نارُ البدايـــةِ فَوْقَ احتمالي

وَفَوْقَ ظُنُوني

تُجَرْجِرُنِي غُرْبَةُ الرُّوحِ نَحْوَ انشطاري

وَتَرْمِي شَظَايَا دَمِي لِلمَسَافَاتِ

كَم بَيْنَ أَمطَارِ شَكِّي / وَعَصْفِ يَقِينِي

وَكَمْ بَيْنَ خُضْرَةِ أَيكِي وَبَيْنَ جُنُونِي؟

كم من الصبواتِ المضيئةِ تَجْمَعُ بيني وبينكِ؟

بيني وبينكِ أرجوحةُ الشِّعْرِ

تَغْرِيبَةُ العُمْرِ

مئذنةُ الرُّوحِ

إِشْرَاقَةُ الجَمْرِ

عُصْفُورُ حُزْنٍ يُزَقْزِقُ في أَضلعي

وَيَحُزُّ وَتِينِي

وبيني وبينـــك سـرُّ التـــرابِ المُسَيَّـــجِ

بالكبرياءِ الجَريـــحِ وبالياسميـــــنِ

وثَأْرِ المَسَاكِينِ

حين تغوصُ السكاكينُ

لو تبصرين انبعاثكِ بين خـــرائب رُوحِيَ سَيْفـــاً

وبين انهيارِ الشَّبَابِ المكيـــنِ

- 2 -

يُضَـــوِّىءُ صَوْتُـــكِ شَـــوْقَ العنادلْ

يجـــىءُ إلى القلب من شُرْفَاتِ القُـــرون

يُهَـــيِّئُ لي ظلَّ زيتونةٍ في الهَجِيـــرْ

يُجَدِّدُ أشواقَ روحي الكسيـــرْ

ويوقظُ في الغيمِ حُلْـــمَ السنابلْ

يُخَبِّىءُ صَوْتُكِ لي وردةً من دمٍ

ومَمْلَكةً من غبارِ المعارك كالقلبِ واسعةً وعريشا

وغلالَ تقْـــوى .. وريشـــا

ويفضحُ أكذوبةَ السَّلْمِ تحت حرابِ لكنيست

ا لتي جعلت ـــ ساعةَ السَّلْمِ ـ

كَسْرَ عظـام الصقور /الرياحيـنِ لعبتها الجارحـــه

تقول لِيَ الأرضُ: <مَا أَشْبَـهَ اليَوْمَ بالبَارِحَـــه>

يجيءُ إلى القلبِ صَوْتُكِ

يَمْنَحُنِي وَجْهَهُ

وَغَضَاضَتَـــهُ

وَصَلَابَتَـــهُ

ورَصَاصَةَ رَفْضِـــي

وبَـــوَّابةً لأعانق أَحْمَـدَ في سجنـــه

وأَبري ضُلُوعِيَ قَوْســـاً

وأُحْـــرِقَ بعد الرحيل إِلَيكِ سفينـــي

- 3 -

أعـــــدو , أنـــــا المشدودَ للقوس
كالسَّهْمِ نحو معـــــارج الـــــقدس

وتُخبّـــئُ الأَسْـــرَارَ حَنْجَـــرَتِي
فيريقُها قلـــــبي على الـــــتُّطرس

وأنـــا الذي أخشـــى صنيـــــعَ يدي
وأخـــــافُ من نفســـي على نفـــسي

- ٤ -

يَعْـــرُجُ بي صَوْتُكِ حين ينادي

في شهر المعراج ْ

يُسْكِنُ روحي برياضٍ مونقةٍ نَمِثَاتْ

ومدائنَ تُبْهِجُهَـــــا الصلواتْ

يغمسنـــــي في النور الوهـــــــــاج ْ

- 5 -

لا تغريني

لا تغريني

إنني المقرورُ في عز الظهيره

وأنا المطلوبُ ,دون الناس , وحدي يا أميــره

نَثْريـــني

نَثْريـــني

واحْمِلي أوتارَكِ الجـــُنْلَى إلى روحي

انْهَضِـــي شامخةَ الـــرأس ،اتبعينـــي

إنّني أعـــــدتُ أَعْـــَراشَ اليقـــــينِ

- 6 -

وَمَضَتْ تَسْـــرَحُ في بستـــانِكَ اليوم غـــزالـه

يا أسيـــرَ النّورِ

فاحملْ كَـــأْسَ أنْوارِكَ

واشْربْ للثمـــــاله

رخـــوة يانيبـة المسالِـــكُ ، لا ظـل فيهـــا

والدليلُ يتيه بأغوارهـِنَّ ،ولا عَجَبٌ أن يتيهـــا

فَدَيْتُكِ لا تطئيهـــا

فلا ظـــلّ فيهـــا

وبقعر الخوابي رياحُ السَّمُـــوم

لهنَّ شهيـــقٌ يدجُّ الأضالـــعَ ، يشـــوي الوجـــوها

وتلك المصابيحُ كـــانيةً فالغنيهـــــا

سيـــوغرُ صَدْرَكِ ضِـــدّي المرابون والمرجفـــون

سينتشـــــرون

سيُطْوَى رايةَ تِنّينِهِـــمْ فاحذريهـــــا

فديتكِ , تلك المسالـــكُ محفوفةٌ بالنعيم المذابِ،

ومسكونةٌ بطـــويل العذابِ

فلا تقربيهـــا

وصـــوني كُنوزَكِ بالدَّمعِ في الظلمات

وبالسجـدة المـــوقنه

يَـــرِفُّ الدثـــار

فتحرسُهُ الجبهـــة المـــومنه

وَيَسْقُـــطُ ظِلُّ المَنَازِلِ تحت الغبـــار

فتنهضُ شـــامخةً من دمـــاء بنيها

– 8 –

تُمَوْسِقُنِي كلماتكِ

تَقْرَعُ بَابَ سَمَـائِي

أَكْتَـمُ وقْعَ الزلازلِ في الرُّوحِ

يَفْضَحُنِي الشعـر حين يضـوعُ

وتفضحني شهقـةُ الزَّنْجَبِيـلْ

ويسألني القلبُ: ماذا دهـاني ؟

وماذا من الطَّعَناتِ اعتــراني ؟

ويملكني ، حين يشتبكُ السيفُ بالأقحوانِ، الذهــولْ

فأهتِفُ : بالله يا نجمة القصر رُدّي عَلَيّ كياني

- ٩ -

أتيتكِ من بعد ليلٍ طويـــلْ

وفي رَاحَتَيَّ أكـاليلُ من نبضاتي

أتيتُ لأغسلَ قلبي

بوادي المَخَـــازِنِ

من بعدما لَوَّثَتْـهُ ملوكُ الطوائفِ في دارة السَّامِرِيِّ

وأشحذُ سيفي الكليـــلْ

تخـــونُ عهودي الحروفُ التي رُضْتُهَـا زَمَنَاً

في سَمَـــــوَاتِ (أكّـــــرا)

و(وهـــران)

و(الدردنيـــل)

وتُنكِرني الكلماتُ التي وَهَبَتْ صولتـــي لجنحـــــه

تتواطـــأُ ضِـدّي مُلوكَ الطـــوائفِ

تُلقي إلى مَلِكِ البُرتُغالِ المواثيقَ كي يبدأ المنبحـــه

وتشربُ نَخْبَ اغتيالِ الصَّبـــاحِ الجميـــل .

- 10 -

يباغتني طائرُ الشَّوْقِ في البيد

مثلَ انهمـــار السمـــاءِ

فافتحُ صـــدري

لبلقـــاءَ تَنْفي صهيـــلَ المنافي

وتوقدُ في الصَّدْرِ نـــارَ القـــوافي

كـأني أغادرُ لَحْظَتَها حِجْـرَ أُمِّـــي

وأُشْرِعُ نافذتي للهـــواءِ

وكيف تَمَكَّنْـتِ في أوّلِ العُمْرِ من محو كلّ النســـاءِ ؟

وكيف تَشَظَّيْتِ في آخـر العمر مِـثْلَ عانـــــاء !

يباغتني طائرُ الشَّوْقِ

أرنو وحيداً على بَابَةِ الخلدِ

أَنْعَى احتضـــاري

وأعلنُ في الناس بَدْءَ انتصـــاري

وما كان حُبّي اختيارا

وهل تملك الشمسُ أيّ اختيـــار

لتسبحَ في غير هـــذا المدارِ ؟

- 11 -

سأخلعُ نعلـــي

اذا جَـــنّ ليلي

وأطلقْ نحوَ السّماواتِ

نَبْضَ افتقاري وذلّي

سأرسل دمعًا

تُضيءُ مصابيحُه طرقاتي

ساعقد حِلْفًا مع الرّيح

عان هي ألقتْ ضَفائِرَها المُشْتَهاةَ على شُرْفَاتي

وعان حَرَّكَتْ في الهزيع الأخير سَتائِرَ رُوحي

لتنهضَ ورقاءُ من بين أطلالها

تُضَمِّدُ لَمْسَتُهَا من جروحي

تَقَدَّمْ عانْ أيها السيفُ

تِلْكَ دِمَائِي

فَضَمِّخْ شفاهَك قبل الغروبِ

لتنكشفَ الحُجْبُ بيني وبين حبيبي .

نار سرندیب

ومن عجب الأيام أنيَ مـــولعٌ بمن ليس يغنيه بكـــائي ولا سهدي

أبيتُ عليلاً في سرنديب ساهراً أعالج ما ألقاه مـــن لوعة وحـــــدي

البارودي في منفاه

- 1 -

أرى زَهْرَةَ العُمْرِ تـــنوي

وقافلة النور تَهْـــــوِي

وَنَـارَ سَرَنْدِيبَ تَكْـــوِي

ضُلُوعَ فتىً يستجيرُ من الطعنـــاتِ

بآهاتـــه ورداءِ الغُيُـــومِ

فكيـف يُدَمِّـرُ مملكة الشعـــر

من أجـــل مملكة الأقحُـــوان ؟

وكيف يُجَـرِّدُ في آخر العُمْـرِ سَيْفَـا كَلِيلاً

لِقَطْفِ النُّجُـــومِ ؟

فيا أيُّها القلبُ رفقـــا

ءالام تغالبُ مَوْتَـــكَ عشقـــا ؟

أفي كل أرض هـــوى يستجـــدّ

ويُلقَى الشِّـرَاعُ إلى أفـقٍ لا يُحَـدُّ؟

- 2 -

أرى شَمْسَ تَبْرِيزَ

تَرْحَلُ نحو حَدائِقَ شِيـــرَازَ

يفــرشُ أهــدابه قَمَــرٌ

ويُكحِّــلُ أجفانَهُ بتراب خطاها

ويحملها لمَحَارِيبِ مجنونِ عَائِشَةَ المتدثِّرِ بالاحتراقِ

فتنهضُ عَائِشَةُ المُسْتَحِيَّة في نَهرٍ من ضِيَــاءٍ

كلؤلؤةٍ لاتُقَدَّرُ.

تنهضُ نَجْمَةَ حُزْنٍ بَهِيِّ المطــارفِ في القَصْرِ

يطلع من شفتيها نشيــدُ المنافي

وتوقظ في الروح شمس القوافي

ليتّحدَ السيفُ بالأقحـــوان

ولكـــن ..

أرى زهرة العمر تنوي

وما من عزاءٍ سِوَى جِنْوَةِ الشّعرِ

تفتحُ بَوّابَةَ الاعتاقِ

-3-

وَحّدَ السيف النابض في كَفِّ شهيدٍ

تخرجُ عائشةُ القِدّيسَةُ من أشعار البياتي

تَتَوَضَّأُ بالنورِ

تُمَشِّطُ كَفُّ الليلِ غَدائِرَهَا المَرْمِيَّه

في رَحِمِ الظَّنّ ..

تُنَشِّرُ أجنحةً بيضـــاءَ على الغدران المنسيَّه

تُشْعِلُ نَارَ سَرْنَبيبَ

فلا جبلُ الأولمب يطاول قامتها الشهباءَ

ولا عشتارُ تقاوم سَيْفَ تَصَوُّفِهَا الوهَّـــاجَ

الطالعَ من أنْوارِ بساتين القَصْـرْ

عَائِشَةَ تلبسُ تَاجَ التقوى الأزليّ

وتبعثُ في ذاتي الجـــرداءِ بَهَـــاءَ الشِّعْـرْ.

مكابدات ابن عمر

(انما الكرم قلب المومن)

حديث شريف

انظر خليلي،بباب جلق، هـل تبصر دون البلقاء من أحـد

حسان بن ثابت

وهل أنا ءان عللت نفسي بسرحـــة من السرح مسـدود علي طريق

حميد بن ثور الهلالي

- 1 -

يساورني في طريقي الجفـــــــاف
ويغـــرق قلبي بنهـــــر الظمـــــأ

وتشربنـــي حشرجـــات الـــــــوجود
كنجـــــم تألق .. ثـــــم انطفـــــأ

فتنقذني نجمـــة من صقيـــــــــعي
وتحملنـــــي لربيع بـــــــــــــدأ

وتدفئنـــي كقصيـــــدة شعـــــــــر
وتجعل من خـــافقي المتكـــــــــــأ

تغني فيصدح هـــــذا الوجـــــــود
مـــن الشـــوق عان شـــاء أم لم يشأ

ويسكـــر من شفتيه الرضـــــــــاب
ويجلو الهـــدى ما به مـــــــن صـــدأ

فما نابني ،ياترى، بغتـــــــــــــــة
لأعلـــــــن أمـــري أمام المـــــــــلأ؟

أسميك جهرا

ومالي والسرح أدعو به وأكنـــــي ؟

وأنثر أوراق حزني

وأغتال شـــــكي

بسيف يقيني

وأرفـــع صوتك في الناس

أرفعـــه فـــوق عرش مكين

وأهتـــف باسمـــك ..

حتى حدود انفجاري

وأعلم أنني ألوذ بنـــاري

وأمشي على ربوات العذاب

وأعدو على شفرات المحن:

ءاذا وطن رابني

فكل بلاد وطـــن

فتحت كتاب المساء الحزين

وأحرقت كل الرؤى المبهمه

وأعلنت أنك لي المنهمه

تحاملت دهرا على همتي وشبابي

تحاملت حتى استطالت ليالي العذاب

شهدت المشاهد

أسهـــرت ليلي

وأظمأت يومي

وأعددت فقري زادا ليوم الحساب

يداهم هذا الحروري مالي

ويحجز مـــروان رزق عيالي

فأكتم زفرة رمحي اتقاء الفتـــن

أمـــا للتقـــى من ثمـــن ؟!

– 2 –

أمر على الربع ,ربع الأحبة , أغمض عيني

(ان الشجا باعث للشجا)

وأقـــرأ بين الصلاة وبين الصـــلاة :

< ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحـق >

فأرسل دمعي العصي البهيج

ويوقد مصباح قلبي النشيج

ويأتي ,كماء الينابيع , صوتك

أطلق نحو السماء

بـــــــلابل صـــدري

فلا تعجبي من ذهولي

وقد أورقت في دمي الكلمات

وتلك القصائد تترى

وقلبي اذا ما ذكرتك يغبطه الشعـــراء

وأغفو على الحزن اغفاء طائر شوق بكى !

أتـــــوضأ ثم أصـــلي

أقول اتبعيني الى وطن الأنبياء

وصوني ثيابك

واتشحي بالتقى

فمملكة الله للأتقيـــــاء.

- 3 -

أرى قمر القصر يرفل في النور

يسكب ثورته في صهيل الجيـــاد

يعيد الي دمي

وصفـــاء بلادي

يعيد الي تباريح شوق تجلـــى

كما يبعث السيف من جذوة في الرمـــاد

وينبض في خافقي طارق بن زياد

يرص الفيالق

يعلي البيارق

يقطع بحرا

تدثر في صمته بالسواد

وينهض ظل العمامة من جبل الريف ملتهبا

بين صوت الرصاص وبين اشتعال المداد

فاتبعه طائعا وأنادي :

أيا قمر القصر بالله كن في طريق جهادي

مواكب أمني وزادي .

- 4 -

رسولي اليك جميل اصطباري

وتمتمة الحرف عند انكساري

أمام بهائك .. يا لانكساري

لأني اصطفيتك شمسا

بمملكة الليل

أنئيك عن طغاتي

وعن لفح ناري

وعن زمجرات الهوى المستثار

وأعطيك سري

وأحداق شعري

وأعطيك أمجاد عمري

وما خبأته من اللؤلؤ الفرد

والصلوات بحاري

وأقنع منك

بما وهبت شجرات المحار

وريح تجيء محملة ببيع ادكار

فأهتف : واها لريح الأحبة !

لست أكني

ولست أقاوم,

لست أجهز جيشا لفك الحصار

وأستبق الوقت:

أعطي المساكين بستان عمري

وأكتب في اللوح أمطار شعـــري

ليقرأه الناس تحت ضيائك قبل انهياري

- 5 -

يقولون لي:

- اخترت في ساعة الغمرات الوقوف

أترهب حـد السيوف ؟

وتنسى النشـور ؟

- أنا ما اعتزلت القتال اختيارا

ولم أعتزله اتقاء السيوف

ولكن تشابه من بعد صفين في نظراتي الطريق

هبوني سيفا

يميز بين التقي وبين الكفور

وبين العدو وبين الصديق

- 6 -

تأوبني ليل حســـان بعدك, حتى تعجب مني السهر

فلا شمس طيبة بعد الأحبة تجلو الهموم

ولا في سماء دمشق قمـــر

وخلفت من بعدهم

ولا عذر لي غير بـــرد الظلال

وهذا العريش الذي يستحم بضوء السحر.

- 7 -

أجيئك، تسبقني نبضاتي

أما كان آباؤنا هاهنا

يضفرون غدائر فجر بهي

وتصدح في خاطر الراسيات بنادقهم

تفتح الشرفات ليعبر صوت السلام

يباغت صوت الغزالة قلبي

فيصغي وحيدا

ويمشي وئيدا

يقول : خنوا شهوات الخلافة عني

فمازال في البيد متسع للقطا

وما زال في الأرض متسع للأنام

خنوا زقزقات الرصافة عني

خنوا بردى

والبريص

وقصر هشام

أنا حسبي قصيدة شعر

على شفة الكرم

تنساب ظل يمام .

حكاية الشيخ صنعان

< انني أحترق الليلة من جوى العشق, ولم تعد لي طاقة لتحمل ايلام العشق . أين العمر لأصف ذلتي, أو لأتوه بكامل ارادتي؟ أين الصبر حتى أكف أو أن أعاقر الكؤوس كالرجال؟
وأين الحظ حتى تصحو عزيمتي , أو تعينني في عشقها ؟ وأين العقل حتى يكون في العلم قدوتي, أو بحيلة العقل أمثل أمامها؟ وأين اليد حتى أضع تراب الطريق على مفرقي ,أو أن أرفع رأسي من تحت التراب والدم؟>

هكذا غاصت عيناه بالدم , وفمه بالسم , وكأنه قد سقط في فم تنين القهر.

ما ان رأى الشيخ رفاقه من بعيد, حتى رأى نفسه يتوسط في لجة من نور, وخجلا مزق الرداء الذي كان يرتديه, وبيد العجز والذلة نثر التراب على رأسه, وكان أحيانا يذرف دمعا داميا كالمطر, وأحيانا ينفض يده من روحه الزكية, وكانت حجب الفلك تحترق بآهاته, كما كانت دماؤه تحترق حسرة على ما أصاب جسده, وعاد اليه دفعة واحدة كل ما ضاع منه من حكمة وأسرار وقرآن ومعرفة.

بعد ذلك رأت الفتاة في منامها أن الشمس سقطت بجوارها, وفتحت الشمس فمها في ذلك الوقت ,وقالت: عليك بالاسراع خلف شيخك. واعتنقي مذهبه... كوني على طريقه, فحينما جاءك ,كان يسير في طريقك من باب المجاز ,فعليك أن تسلكي أنت طريقه من باب الحقيقة >)

منطق الطير .

وقال فكتور هيكو:

ياسامولاتي
بحق هذه اللآلئ
التي يزين طوقها
جيدك الناصع كاللبن
سأفعل كل ما يسرك

ان أنت قبلت راضيـة
أن أجعل من قلادتك مسبحة لي.

les orientales

- 1 -

كانَ صنعانُ على سجّادةِ النورِ يُصلّي
ويعْيَنيهِ بريقٌ
كَقَناديلِ المغاراتِ
كأشواقِ الينابيعِ
كَأحزانِ المحيطاتِ
كأفـــراحِ التَّجلّي
كان يَجْلو ,مُطْمئِنّاً، صدأَ القلبِ

بآياتٍ من الأنْفال والنَّيلِ

وآهـــاتٍ على نَحْـرِ السَّحَرْ

وَلصنعانَ معَ النجْم حِكاياتٌ وأشْياءُ أُخَـرْ

وَلصَنْعانَ مُرِيدُونَ كثيرون يَقُصُّـونَ الأثَـرْ

- 2 -

قال صَنعانُ , وَهْوَ يلقن أصحابه حكمة الاشتعال:

مـــر بي طـائر اليمـــن

فامتلأت سلتـــي بالغلال

فردوا وكلوا يا مساكين مملكتـــي

واحفظوا ما روته الميازيب

واعتصموا برداء الجمـــــال

واسجدوا للجلال

مـــر بي طائر اليمن

فانتشرت في دمي دافقات الطيوب

وسفكت دمي .. فرأيت حبيبي

فبأي مقال على الفضل أشكـــر مولاي ؟

أي مقال ؟

- 3 -

كان صنعان اذا رتل في الليل :(ألم يان)

بكـــى شوقا الى الجنـــه

وتمتم خاشعـــا :

مولاي , جنبني لظى الفتنـــــه

وغسلني ببحر النور ,غسلني

ودثرني بثوب التوب ,دثرني

لـــك المنـــه

لـــك المنـــه

بكى صنعان من شوق الى الجنـــه

وقبل تبلج الفجـــر

رأى في نومه دمه يغطيـــه

من القدمين للنحـــر

رأى في البيد خرقته

كابهام القطاة

كدمعة في عين عاشق

استحالت كوكبا يعدو الى نجمـــه

بكى صنعان وارتعدت فرائصـــه :

الهـــــي ! كاشف الغمـــــه !

أبعد توهج الساحات بالأوراد والذكر

تنازع نفسي الدنيا

وتلقي شهوة الأيام بي في قعر مظلمة

وتصلني قرار جحيمها المـــر ؟

- 4 -

ورأى والشوق بحر لا يحد

كوكبا نحو مدار النجم يعدو

وله والنجم أنباء , وأشياء أخـر

قال : ياصحبي اتقوا الدنيا !

اتقوا النفس ,ففي الأرض مروج مشرئيات

وفي الصدر تباريح

وفي الوجه نظـــــر .

- 5 -

ورأى صنعان في الحلم غـزاله

سرقت منه ابتهالـــه

فتغشاه الكـــدر

وبكى شوقا اليها

وعلى أعتابها القلب انكســر

لم تكن تلك الغزاله

تقرع الناقوس في الدير

ولا عاشقها يعقد زنارا

ويحســو خمره حتى الثمالــه

خر كالمجنوب صنعان وقد خط مقــالــه:

(أنت مصباح لقلبي

أنت ينبوع بصحرائي

ونور فوق دربي

أنت سر بحثت عنه ضلوعي

أنت ذنب طهرته

في المحاريب دموعي

كيف لاأنشر في بحر مغانيك القلاعــا ؟)

وتجلت قمرا في شرفة القصر ينادي :

(يا عصافير بلادي

أنت أذكيت لظى الشعر بأعماقي

وألهبت فــــؤادي

فأعينيني على بعض مرادي

ليس من أغمض عينيه بمنأى

عن رصاصات الطراد

كل من هلل أضحى

غرضا للنطع والسيف ونيران الأعادي.

هللي وابتهلي

هللي وامتشقي السيف الى يوم التناد

واجعلي تيجانك الحب بأعراس الجهاد

واصدحي في كـــل واد

يا عصـافير بلادي)

وتجلت والصبايا حاسرات حولها

وهي لاتهتك للستر قنـــاعا.

وبكى العاشق والدمع بعينيه حجـــر:

هذه الخرقة كانت دون أنوارك سترا وحجابا

فاشهدي

أخلعها الآن

وأعدو نحو محرابـــك كالمجنوب ,

كالظمآن في الصحراء

يستهويه سر الماء دفاقا .. ولو كان سرابا .

صار صنعان على سجادة القلب يصلي

ويذيب الروح في نور التجلي

والغزالـــــه

كالندى يسكب في الليل ابتهالـــه

ويمد الصوت نحو اللـــه : كن أمني وزادي .

- 6 -

مس قلبي جناحك فاحترقت أضلعه

وتلجلج في خافقي السؤال:

كيف تسلمني للهيب الرياح وأنت معي ؟

ليتني لم أذق حكمة العشق

يا ليت قلبي بشمس المعارف لم يحترق

ليت اذ فاتني موكب الشهداء

ومن عرفهم ما اصطبحت ولم أغتبق

ليتني كنت أرعى الوعول برأس الجبال .

الحـــريـــق

- 1 -

يشب الحريق

فأطلب اطفـــاءه بدموعي

وبالزفرات التي يتململ صدري من نفثها ويضيق

تراني ضللت الطريق ؟

- 2 -

يشب الحريق

فتهوي الفراشات

مزهوة بدم الشهداء

وأبقى أنا في ذهولي الغريق

ترانـي ضيعت خطوي

وأظلم فـي نـاظري الطريق ؟

– 3 –

وحين تخون الدماء العروق

ويركن للظل من كان فـي النـائبات الدليل

أحــن الـى كلماتك تنقذنـي من صقيعي

وترسل أنداءها الطيبات لروح النخيل

وأرسي قلاعي لديك

كأنـي شــراع

يلامس من بعد غيبته مـــــرفأه

فألقى الذي لم يخبئه صدر امــرأه

- 4 -

تضيق المسالك

تهرب من جمرات الدواة الحروف العصيـــه

فمن يوقظ الآن جمرا

توثب تحت الـــرماد

ومن يبعث الحلم بين شعاب الفـــــؤاد

ويجعلني طلقة ووســاما

على جبل الريف والأخضريـــــه ؟

مـــن حـــــــــــراء

(والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وماقلى وللآخرة خير لك من الاولـــــــــــى ولسوف يعطيك ربك فترضـــى.)

سورة الضحى:1 ــ 5

غيبـك الصمت طويـــــلا

وانقطع الوحي طـويـــــلا

فتـــوجسـت طـــــويـــــلا

أظلم الكون ,بعيني , طويـــلا

ضاقت الأرض وكادت أن تزولا

فتعجلـــــت الرحيـــــــلا

ويح جهلي

كيف يا قلبي أنسيت بأن النور

من بعد طويل الليل يهديك السبيلا ؟

وبأن الغيث من بعد انحباس القطر يغدو سلسبيلا ؟

سـل سبيـــــلا!

أشرقت شمسي من بعد غـــروب

عاد تلقتني من بعد انتظار

كلمـــات حبلت منك بأسرار الطيوب

وتملكت الضيـــــاء المستحيلا

عندليب الشوق لن يصدح بعد اليوم الا عند باب السنبلـــه

وهي في شرنقة النور المهيـــب

تتحـــدى القتلـــــه

كيف لا يأسرني الزهـــوطويلا؟

كيف هذا الحرف لايغدو بكفـــي صقيلا ؟

يا ربـــيع القـــلب! اذ تحدق أنياب الليالي

ووجـــــوه كالسعـــــالي

فاذا شرنقة النور سناها

عفة تهتك أسرار الظلام

ويد أيـــــدة خاشعة
تهدم أسوار الطغاة؟

كيف لاأزهو وهذا حرفك الأخضـــر

نبض في وريدي

وضياء في دواتي ؟

كيف لا أزهو وهذا فرعك الشامخ يعلو

فوق جـــرح من لهـــب

وقوافيك جلاء للـــــريب

كيف لاأغبط زهر الأقحـــــوان

وهو في حجـــرك تسقيـــه أباريق الحنان ؟

أبـــدا ...

لا تاج بلقيس من الفتنة يدنيك

ولا أقـــراط مـــارية تغريـــــك

ولا نفط العـــــرب .

أنت , أنت

بعت أقمارا من الفضة نشـــوى

وشموسا من ذهـــــب

ورددت الكـــاس والآس

وحفنـــــات من المـــاس

وأحـــــواض عقيق

وعناقيد من اللؤلؤ أدماها البريق

كبساتيـــــن العنب

بعت أضـــواء المدينـــــه

واشتريت النور غضـــا

يجتلي رائحة الوحي

وأنداء السكيـــنه

وبجوف الليل قمت

فتلقيت ,وقد أدلج منك القلب نحو اللـــــه ,

(يا نعم العطـــاء)

سفـــرك الأول من غـــار حـــراء

ان هذا أول الخطـو, لقـد

ربح البيع , فكونـي أنت أنت

حدثتني السنبلـــــه :

(أنا لاأبغي من البحر الـــزبد)

قلت :(لاأبغي من البحـر الزبد)

ولذا أقبلت ظمآن الى محرابك الميمون

كالنحـــلة أمتص الرشـــــــــــد

بعدما أحرقت من بعدي السفن

ثم أعددت من الجرح الكفن

ومن الحب السكـــن

وكلانا ،يومها، آنس نـــارا لا تشيخ

لكلينا غربة مشتعلـــــه

وعلينا من دم العشاق ســـوْر ووشاح

وأنا دونك مقصوص الجناح

فلنرتل ،يا ابنة النور، ســويا :

(فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها، وسبحن الله رب العلمين.)

آي الـــــــــرمـاد

(... جزاك الله خيرا يا عائشـــة،ما سررت مني كسروري منـــك).

من حديث شريف رواه البيهقي في(دلائل النبوة)

صـــدى الصحـــراء يشـرب من شـــــؤوني

ويتركنـــي كمصـــباح الشجـــــــــــــون

هبيـــني من ضيائـــك ،أخـت ســـــــعـد ،

وان خفـــت العيـــــون فأرضعيـــــــني

أبـــــو زرع أنـــــــا ، يـــــــا أم زرع،

وقد أعـــــــددت أعـــــراش اليقـــــين

وأنســـف كل مملكـــــة ســـــــــواهـــا

وأحســـــو النور مـــن ورد معيـــــــــن

فصبـــي من بهـــــائك في حـــــــــروفي

وصبـــي من مضـــــائك في وتيـــــــــني

وكـــــوني الأقحـــوان بحقـــل عمـــــري

وكونـــي السيـــف يلمـــع في يميـــــني

كلمـــاتك العـــذراء تهـــزمني

أنا المنقوع فـــي بحـــــر الكـــلام

وأنـــا المـــدجج بالتـــــحـــدي

واشتعـــــــال الكبـــــرياء

اذا بـــدا سيـــف الظـــلام

ومضـــت عســـــاكره

تناجزنـــــــي

تشـــحط عنـــد بـــــــــــــابي

مـــن أي نبع تستقيـــن ؟

فيـــورق الحجـــر الأصـــــم،

اذا شكـــــوت ،

ويغـــــــدق السـر المـــــرابـط في السحـــــــــــــــاب

أفـــراسك الشهبـــاء

تحملنـــــي لمملـــــكة

لهـــا ميراثهـــا الأبهـــى

وتـــجـعـلنـــي علـــى عرش الحـــروف

ملـــيـكهـــا الشـــاكي الســـلاح

أأنـــا المتـــوج أم جبيـــــنك يا صبـــاح ؟!

يـــافارســـا كـــلت مضـــارب سيفـــــه

وكبـت أعنـــتـــه ،وقد ســدت منـــافذه الـــرياح

ونعـــاه صـوت الأهـل مذ ســـارا

أرســت بوارجـــهـا لديـــك السنبـــله

بالمـــن والســـلوى

تجيـــئك مثـــقـــلـــه

وتـــزف للفـــلـــوات أمطـــارا

وتـــبث بالأشعـــار للأشعـــار

شكـــوى ظبيـــة متبتـــله:

"قـــوموا اســألوا العـرش المخضـــب من دمـــي

يا أيهـــا الأحبـــاب : في جســدي ، أمـــا خبروا الرمـــاح ؟"

يا نبعـــة الشعـــر المـــؤيد من سمـــاء الغيـــب

يا اشـــراقة راووقهـــا

نجـــوى يخـضلهـــا ربـــاح

انـي أنـــا الصقـــر الذي خبرتـــه ألـــوية البطـــاح

لكننـــي ،ان غاض بحـــر النور ، مقصـــوص الجنـــــاح

فتـــدفقـــي نورا

وقـــــافيـــة

تخضـــب كـــل ســـاح

آي الـــرماد محجـــة..

وجيـــادك الشهبـــاء زاد في ميـــادين الكفـــــــــاح

وأنـــا.. أنـا المغمـــوس في بحـــر الكـــلام

وأنا المدجج بالتـــحدي

واشتعـــــال الكبـــرياء

اذا بدا سيـــف الظـــلام ...

أدعـــوك .

هـــــوامش

في البـــدء:

أعددت للفقر تجفافا:" قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ، والله اني لأحبك.فقال:انظر ماذا تقول. قال: والله اني لأحبك، ثلاث مرات .فقال: ان كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ، فان الفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه ". رواه الترمذي.

احتفـــال :

طعم الوهـن : في الحديث" قلنا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت ".

الدخـــــول ...

(1) سأخلع نعلي :" فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى". سورة طه :12.
(2) العريش (في هذا الموضع): قال ابن هشام:" قال سعد بن معاذ: يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشا تكون فيه ..." راجع بقية الخبر في السيرة.
(3) وغلائل تقوى وريشا: قال تعالى " يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون". الأعراف: 26.
(4) أكـرا: مدينة الهند الاسلامية التي بنى بها شاهجهان قصر(تاج محل) لزوجته ممتاز،وصار ضريحا يضم جسد الامبراطور العاشق وحبيبته.

نار سرنديب

يكحل أجفانه بتراب خطاها : من التعابير التي كانت شائعة في ايران ،احتفاء بالضيف: (جعل الله تراب نعالكم كحلا لعيوننا).

مكابدات ابن عمـر

ـ اذا وطن رابني فكل بلاد وطـن
هذا البيت لعبد الصمد بن المعذل.
ـ ليل حسان: قال حسان :
تـأوبني ليل بيثرب أعســـر وهم اذا ما نوم الناس مسهـــر
ـ وخلفت من بعدهم : مما كانت تتمثل به عائشة رضي الله عنها :
ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلـف كجلد الأجـرب
ـ العريش (في هذا الموضع): عريش أبي خيثمة. راجع خبره في السيرة، في غزوة تبوك.

حكـاية الشيخ صنعـان...

ـ ألم يان : كان الفضيل بن عياض في شبابه يقطع الطريق، ثم عشق جارية، فبينما هو يسعى اليها ، سمع قارئا يتلو:"ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله " فقال: قد آن يارب. وتزهد حتى أبى أن يقبل عطاء الرشيد. وانتقل من الكوفة الى مكة، فجاور بها شيخا للحرم ، حتى مات في المحرم سنة187 هـ .

ـ قال أمية بن أبي الصلت ، آخر حياته ، وقد أغمي عليه ثم أفاق :

ليتني كنت ، قبل ما قد بدا لي ، في قلال الجبال أرعى الوعـــــــولا
كل عيش ، وان تطاول دهرا ، قصـــره مدة الى أن يـــــــــزولا

ثم خفت فمـــات .

مـــــــن حـــــــــــراء

آنس نارا:"وهل أتيك حديث موسى اذ رءا نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى" طـــه:9 - 10 وانظـــر أيضا:القصص 29 - النمل 7 - 8.

آي الرمـــاد:

_ أرضعيني : عن عائشة أن سالما ،مولى أبي حذيفة، كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم،فأتت(سهلة ابنة سهل) النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ان سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقلوا ما عقلوا، وانه يدخل علينا واني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة.(وفي رواية قالت:وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد علمت أنه رجل كبير) ،فرجعت فقالت : اني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة.

(رواه مسلم)

_ أم زرع : راجع حديثها،ومن أحسن شروحه شرح القاضي عياض المسمى:(بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد).

عنـــــاوين القصـــــــائد

1 - الى الأبـــــد
2- في الـــــــبدء
3 - احتفـــــــال
4 - الدخول الى حدائق اقبال السندسية
5 - نار سرنديب
6 - مكابدات ابن عمـــر
7 - حكاية الشيخ صنعـــــان...
8 - الحـــريق
9 - مـــــن حـــــراء
10 - آي الـــــرمـــــاد